دلالة وجوه التخفيف الصوتي في آيات من القرآن الكريم

أحمد عمارة*
جامعة العربي التبسي -تبسة -الجزائر
profahmed284@gmail.com

الطيب جبايلي
جامعة العربي التبسي -تبسة -الجزائر
tdjebaili60@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/06/10 تاريخ القبول: 2021/07/14

ملخّـص

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن أبعاد ظاهرة التخفيف ودلالاتها، وتتخذ من الآيات القرآنية مادة للبحث، كما تعتمد المنهج الوصفي الاستقرائي، للوقوف على تجليات ظاهرة التخفيف، وتضع فرضية للبحث مفادها أن التخفيف الصوتي المتعلق بالحركات والحروف له تأثير على المتلقي في تشكيل المعاني. وتبرز هذه الدراسة الأفق الدلالي من خلال ظاهرة التخفيف، وكيف يعدّ من الأسس البالغة الأهمية في إضفاء دلالات ثانوية وراء الدلالة المركزية للنص.

الكلمات المفتاحية:

الدلالة - التخفيف - الأصوات - الحركات - الحروف.

المؤلف المراسل: أحمد عمارة، البريد الالكتروني: profahmed284@gmail.com

La signification de l'atténuation phonémique dans les versets coraniques

Résumé:

L'objectif de cette étude est de révéler les dimensions du phénomène de l›atténuation et ses implications en prenant comme source de recherche les versets coraniques. Elle adopte une approche descriptive inductive pour déterminer les manifestations du phénomène de l'atténuation, c'est pourquoi nous avons soumis une hypothèse pour la recherche selon laquelle l'atténuation phonémique liée aux mouvements et aux lettres a un effet sur le destinataire dans la formation des significations. Cette étude met en évidence la perspective sémantique à travers le phénomène d'atténuation, et comment il est considéré comme l'un des fondements les plus importants dans la transmission de connotations secondaires derrière la signification centrale du texte.

Mots clés:

Signification - Atténuation - Sons - Accents - Lettres.

The significance of the phonemic attenuation in the Quranic verses

Abstract:

This study seeks to uncover the dimensions of the phenomenon of mitigation and its implications and takes the Qur'anic verses as a material for research. It also adopts an inductive descriptive approach to find out the manifestations of the phenomenon of mitigation, and puts a hypothesis for the research that the phonemic attenuation related to movements and letters has an effect on the recipient in forming meanings. This study highlights the semantic horizon through the phenomenon of mitigation, and how it is considered one of the most important foundations in imparting secondary connotations behind the central significance of the text.

Key words:

Significance - Attenuation - Sounds - Accents - Letters.

مقدّمــة

تعتمـد ظاهـرة التخفيـف الصـوتي عـلى التغـيرات الموقعيـة للصـوت، في بعـض صيـغ الـكلام الـذي يقـوم أساسـا عـلى مبـدأ السـهولة والتسـيير، وذلـك يتجسـد في المنطـوق الـذي تمثلـه الكتابـة، بحيـث يمكـن قراءتـه مُخَفَّفـاً كـما في "سـال" في قولـه تعـالى: ﴿سـأل سـائل بعـذاب واقـع﴾ [االمعـارج01]، وهـذه التغـيرات الصوتيـة تتجـلى بطبيعتهـا في جميـع مسـتويات بنيـة اللغـة، بـدءا مـن تأليـف اللفـظ والجملـة، إلى إنشـاء النصـوص.

وظاهـرة التخفيـف عالجهـا أسـلافنا معالجـة دقيقـة، كظاهـرة عامـة تشـمل جميـع مسـتويات الـدرس اللسـاني، فنجـد لهـا حضـورا في المسـتوى الصـوتي، وكـذا الـصرفي، والتركيبـي، وهـو مـا لـه أثـر عـلى المسـتوى الـدلالي، ويتفـاوت مقـدار الحضـور مـن مسـتوى إلى آخـر، فـإلى أي مـدى يُسـهم التخفيـف في إحـداث التغـير الـدلالي، أي هـل يتعلـق التغـير الـدلالي باختـلاف اللفـظ فقـط أم أن الأمـر يتعـدى اللفـظ إلى ظواهـر التخفيـف، مـن حـركات (صوائـت)، أو حـذف أو قلـب أو إبـدال إلى غـير ذلـك؟ وفي ذلـك يقـع تَقَـصٍ وتحليـل لبعـض مواضـع التخفيـف في آيـات مـن القـرآن الكريـم، بالاسـتناد إلى القـراءات القرآنيـة، والوجـوه الصوتيـة التـي تُظْهـر ذلـك، وفـق المنهـج الوصفـي الاسـتقرائي التحليـلي.

وسـيتناول البحـث بالدراسـة بعـض ظواهـر التخفيـف من قبيـل الصوائـت والصوامت، وتخفيـف الهمـزة، والیـاء، وحـذف النـون، وكـذا بعـض أحـرف المعـاني كـما في أحـرف النـداء، فضـلا عـن ترخيـم الاسـم المنـادى، لمـا لهـا مـن أهميـة بالغـة في دلالات القـراءات القرآنيـة، مـع التركيـز عـلى الظواهـر الصوتيـة المرتبطـة بهـا كالمُماثلـة، والمُخالفـة، والقلب المـكاني، ومـا إلى ذلـك مـن خـلال الشـواهد، للوصـول إلى دلالـة المتغـير والمحـذوف.

وتنـدرج هـذه الظواهـر الصوتيـة ضمـن اهتمامات العلـماء العـرب وبخاصـة اللغويين، حفاظـا عـلى لغـة القـرآن الكريـم وقراءتـه، ومنهـم الخليـل بـن أحمـد الفراهيـدي الـذي اسـتخدم مصطلحـي التخفيـف والاسـتثقال كمصطلحـين متقابلـين، اسـتخدم مصطلـح التثقيـل للدلالـة عـلى تحريـك الحـرف السـاكن، واسـتخدم مصطلـح التخفيـف، للدلالـة

عـلى تسـكينه، وفي ذلـك يقـول: كـما يقـال في العـصْر، الدّهْـر فـإذا احتاجـوا إلى تثقيلـه، قالـوا: عَـصُرَ، وأيضـا العُنْـق [بـن عبـد اللّـه، 2004، ص 16].

والناطـق بكلمـة التخفيـف أو خفـة يسـتحضر ظاهـرة الثقـل، وفي اللغـة جـاءت معانيهـا (الخفـة) ضـد الثقـل والرجـوع، وهـو خِفَّـةُ الـوزن، "وخَـفَّ الحـال، وخـف القـوم قلُّـو، وقـد خفـت زحمتهـم، والتخفيـف ضـد التثقيـل" [لسـان العـرب، مـج09، ص 78]، "وخـف الـشيء خفًّـا، وخِفَّـةً قـلَّ ثِقَلُـه ويقـال خـف الميـزان شـال، وخـف المطـر ونحـوه نقـص... وخـف عقلُـه طـاش وحَمُـق، وخفـت حالـه رَقَّـت، وخـف الرجـل كان قليـل النقـل في شـعره، خفـف الـشيء جعلـه خفيفـا، وخـف الثـوب رق نَسْـجُهُ، وخفـف عنـه، أزال عنـه مشـقة وعنـاء، والتخفيـف عنـد القـراء والصرفيـين هـو التخفيـف في النطـق" [المعجـم الوسـيط، ج01، د.ت، ص 247].

وأمـا في الاصطـلاح فالتخفيـف قـد ورد مُقابِـلا للثقـل والعكـس، بمعنـى أن لفظـة التخفيـف تسـتدعي حضـور الثقـل عـلى الأقـل ذهنيـا، ولكـن الخفـة نسـبية تُقـاس بالثقـل والعكـس، ومتـى عُرفـت هـذه النسـبية صـارت لهـا حـدود محـدودة، ومقاديـر مُقَـدَّرَة [ينظـر: عفيفـي 1996، ص 26]، واعتـماداً عـلى هـذه المفاهيـم وغيرهـا سـنوضح بالدراسـة التغـيرات الصوائتيـة وأثرهـا الـدلالي.

1. تغيرات الصوائت (الحركات)

تعـددت تغـيرات الصـوت بوصفـه حَدَثـا نُطْقِيـا، أو كوحـدة مجـردة ذات وظيفـة في بنيـة الـكلام، ومـا يعنينـا هـو تجـلي ظاهـرة التخفيـف في أبسـط صورهـا، أي صـورة تغـير الحـركات (الأصـوات)، وكـذا الجانـب الـدلالي للصـوت اللغـوي، والقـرآن الكريـم بـكل مـا فيـه مـن أصـوات، وحـروف، وكلـمات، وجمـل، عـلى دقتهـا وشـأنها تؤكـد البلاغـة الأفصـح والـكلام الأرقـى الـذي يعلـو ولا يُعـلى عليـه، فـإذا حَـذَفَ حرفـا أو غـيَّر صوتـا أو أسـقط كلمـة، فذلـك لحكمـة أو دلالـة خاصـة. ويمكـن إدراك ذلـك مـن خـلال مـا يطـرأ مـن تغـيرات في حـركات الألفـاظ في القـراءات القرآنيـة، إذ إن للصوائـت أثـرا حاسـما في تغيـير المعـاني في الأسـماء والأفعـال.

والصوائت من الصوت، أي الجرس، ويقال صَوَّتَ تصويتا، فهو مصوت، ومعناه صائح والصَّائِتُ الصَّائِح، وفي الاصطلاح هي الأصوات التي يَحْدُثُ أثناء تكوينها أن يندفع هواء الزفير في مجرى مستمر، مما يؤدي إلى سهولة نطقها، وسهولة انتقالها إلى السمع.

1.1. التغير الحركي

نعمد إلى الشيء المُحَرِّكِ للصامت، وهو الصائت أو الحركة كما أورده السلف من علماء القراءات على اختلاف رواياتها، والصوائت قوالب (Formes) تجعلها الصوائت ذات معانٍ متغايرة، من خلال تلك الصور المختلفة التي تشكلها في الكلمة، ويتجلى ذلك فيما جاء عن رواية عمر بن الخطاب، حيث قال: "سَمِعْتُ هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها، وفي رواية على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فقلت: يا رسول اللّه سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرتينها، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: اقرأ فقرأ القرآن التي سمعته يقرأ، فقال رسول اللّه: هكذا نزلت. ثم قال لي: اقرأ فقرأت فقال هكذا نزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه" [الزركشي، ص 148].

وظاهرةُ التخفيف تَجَلَّت بشكل لافت في القرآن الكريم، وبخاصةٍ في القراءات القرآنية، وهو ما يؤكده ابن الجزري بقوله: "وقد تتبعت صحيح القراءة وشاذها، وضعيفها، ومُنْكَرِها، فإذا هي يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه لا يخرج عنها، وذلك إما في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو: بِالبُخُل، وإما بتغير في المعنى فقط نحو: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ وإما في الحروف بتغير في المعنى لا الصورة، نحو: تَبْلُو، تَتْلُوا أو عكس ذلك نحو: الصراط والسراط، أو بتغييرهما معا، أو في الزيادة والنقصان نحو: أوصى ووصَّى، فهذه سبعة لا يخرج عنها الاختلاف" [السيوطي، الإتقان، ج02، دت، ص314]، والسرّ في إنزاله على سبعة لغات هو تسهيله على الناس لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر/17]. ولو كان

تعالى قد أنزله على حرف واحد لانعكس المقصود" [الزركشي، 2006، ص 158].

وإذا كانت القراءات كُلُّها ليست على درجة واحدة من الصحة، فإن المُعْتَمَد منها هو "القراءة الموثَّقة بالسند، والمؤيَّدة بالرواية، والمدعمة بالنقل ... وهي كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصحَّ سندها" [مكرم، 1988، ص 07-06] وذلك لإثبات حكم أو الإتيان بظاهرة لغوية، للتسهيل على القراء مثل قوله تعالى: ﴿ولو فتحنا عليهم بابا فظلوا فيه يعرجون﴾ [الحجر/14]، قُرئ الفعل "يعرجون" بالضم والكسر، وقوله تعالى: ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ [البقرة/87]، قُرئ لفظ "القدس" بضم الدال وإسكانها، لأن السكون هو عدم الحركة، فهو أخف من الحركة. وكل ما يعتري التركيب، أو اللفظ في الأداء من تبدُّل في مواضع الصوائت أو الصوامت بين تشكيل لغوي وآخر، يكون بسبب تفاعل الأصوات داخل الكلمة ومن ذلك.

1. تغيير الحركة

يقع تغيير الحركة في التعبير القرآني بإبدال موضعها ليكون المعنى وفقها، ولغرض معين "وبالحركات واختلافها تُفهم المعاني، فهي مَنوطَةٌ بالكلام [مُرْتَبِطَةٌ به]، إذ بها يُفَرَّقُ بين المعاني التي من أجلها جيء بالكلام، وهذا القول أولى من غيره" [ابن أبي طالب، 2005، ص 48]، وهنا تشير إلى الحقيقة اللغوية التي مفادها "أن الضمة أقوى الحركات وأثقلها، ثم تليها الكسرة، ثم تليها الفتحة، وهي أَخَفُّ الحركات" [فاضل السامرائي، 2006، ص 102].

ويمكن تصنيف جملة التغييرات إلى صنفين:

أولا: تغييرات نجد مسوغاتها في مبدأ الخفة أو الثقل، أو طلب التيسير، وتسهيل النطق، وهو ما يسميه المحدثون، مبدأ الجهد الأدنى، أو ما يُعَبَّرُ عنه ابن جني بالخِفَّة.

ثانيا: تغييرات لا تكتفي بتفسيرها على المستوى الصوتي وحسب، وإنما مسوغاتها دلالية، وهي موزعة بين ما يمس الحروف (الصوامت) وما ينال الصوائت، وتقع في

الأسماء والأفعال.

- في الأسماء تغييرُ الحركة من الفتح إلى الكسر يجعل المصدر صفة مثل: عَطَش على وزن فَعَلَ، وعَطِش على وزن فَعِلَ، أو اسم الفاعل اسم المفعول، مُكْرِم على وزن مُفْعِل، ومُكْرَم على وزن مُفْعَل، ومن الضم إلى الفتح كما في كَنُودٌ، فَعُول، وكُنُود فُعُول، أو بتغيير معنى مادة إلى معنى آخر كما في السَّداد، والسِّداد أو شيئا من الصنعة مثل: الأُسُد، الأَسَدُ [ينظر سيد علي، 2001، مجلة مجمع اللغة العربية، ص 807 - 809].

في الأفعال تقع كذلك تغيرات الحركة من الفتح إلى الكسر، مثل: شَدَفَ على وزن فعل بمعنى قطع، وشدِف على وزن فعل بمعنى حقد، وشحن على وزن فعل بمعنى حمل حملا، وشَحِنَ على وزن فعل بمعنى حقد عليه، وكما هو كذلك في المشتقات مثل مُختار على وزن مُفْتَعِل التي هي في الأصل من اختير مُخْتَيِر، ومختَيِر، وتقلب الياء ألفا فتصير مُختار القائم بالاختيار، ومُختار الواقع عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ [القمر/03]، المُراد هو تغيير موضع الحركة في قاف "مستقر" بالفتح والكسر، مما يغير الصيغة اللفظية بغض النظر عن صوغها الصرفي "وقرئ بفتح القاف، ويعني كل أمر مستقر، أو ذو استقرار، أو ذو موضع استقرار أو زمان استقرار. وعن أبي جعفر مستقر بكسر القاف، والجر عطف على الساعة، أي اقترب أمر الساعة، واقترب كل أمر مستقر، ويستقر ويتبين حاله" [الكشاف/ج05، 1998، ص 654]. مستقر، اسم مفعول موقعه يكون مضافا إليه حُذف مضافه، ومستقر اسم فاعل موقعه خبر لكل، مع ضم الراء، وأما إذا قرئ بكسر القاف، وجر الراء، فيكون صفة لأمر أو خبر لكل حذف مضافه، ووجه الدلالة بهذا التغير الحركي في قاف لفظ "مستقر" هو عدم الثبات على حال واحدة، مما يؤدي إلى حالة خذلان في الدنيا، أو شقاء أو سعادة في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ [الروم/54]

الشاهد كلمة ضعف: "قُرئ بفتح الضاد وضمها، وهما لغتان ... أي ابتدأناكم في أول الأمر ضعافا، وذلك حال الطفولة، والنشء، حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة، وتلك حال القوة إلى الاكتهال، وبلوغ الأشد، ثم رددتم إلى أصل حالكم، وهو الضعف بالشيخوخة والهرم" [الكشاف، ج04، 1998، ص 587]، ويعني ذلك أن تغير الحركة في لفظ ضُعف بضم أوله أو فتحة تحمل دلالة عدم ثبات الحال واستقراره على هيئة واحدة، لتكون نهاية الإنسان برده إلى أرذل العمل "وهذا التردد في الأحوال المختلفة، والتغيير من هيئة إلى هيئة، ومن صفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد، على الصانع العليم القادر" [الكشاف، ص 587]، وكلمة "ضعف" المتعلقة بالخلق وردت مجرورة، تحمل وجها دلاليا ينم عن الانكسار والانهيار، ورجوع الإنسان إلى ضعف بعد قوة، وليس يمنع عن احتمال الوجه الدلالي أن يصحبه تيسير في القراءة، وتسهيل في النطق والأداء.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف/57]، معنى الآية "لما ضرب عبد اللّه بن الزبعري عيسى بن مريم مثلا، وجادل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، بعبادة النصارى إياه "إذا قومك" قريش من هذا المثل (يصدون) ترتفع لهم جَلَبَة وضجيج، فرحا وحزنا، وضحكا، لمّا سمعوا منه من إسكات رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: يجادله كما يرتفع لغط القوم ولحبهم إذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم، وأما من قرأ (يصدون) بالضم فمن الصدود، أي من أجل هذا يصدون عن الحق" [الكشاف، ج06، 1986، ص 451]، إن غياب ذكر ابن الربعري في الآية، وبناء ضُرب للمجهول يحمل وجها (دلاليا) من التحقير والتجاهل، والتفاهة له وصغر عقله في ضرب المثل، لما جادل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وذلك لإثارة قريش وصدها عن الحق، وللإشارة إلى أن بعض أنواع التخفيف لا ينال الصائت أو الصامت فحسب، بل قد ينال المفردة أو الجملة من قبيل حذف الفاعل (الزبعري) في الآية الكريمة بغرض تحقيره والتقليل من شأنه، وذلك بتغير الصيغة من خلال الحركات.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران/27]، فقد ورد في المحرّر الوجيز أنه قرأ عاصم في رواية أبي بكر، وابن كثير وأبي عمرو بن عامر "الميْت" بسكون الياء في جميع القرآن، وروى حفص عن عاصم من الميت بالتشديد، وقرأ نافع والكسائي الميِّت بتشديد الياء في هذه الآية، وفي قوله تعالى: لبلد ميت، خفف حمزة هذه الحروف [رسيلا، 2001، ص 514]، إن اختلاف القراءات وتنوعها له "فوائد كثيرة منها التهوين، والتسهيل، والتخفيف على الأمة" [ينظر الفاسي، 1997، ص 313]، فقد وقع إيهان في لفظة "ميت" التي أصلها مَيْوِت بإسكان الواو وحذفها، ليبقى اللفظ ميت، والقراءة بالسكون في الحالتين يوجب أوجهاً من الدلالة، ففي الآية الأولى يقابل قدرة اللّه عز وجل الإتيان بالكائن الحي من العدم، أو إخراجه من الميت والعكس، أما في ميت "لبلد ميت" فالإيهان يقابل سوْق السحاب الثقال في أقصر زمن قد يتخيله الإنسان، لإحياء البلد بعد القحط والجفاف والحاجة أو بعث الحياة فيه.

ويقع كذلك التغيير بإبدال حرف في الكلمة بحرف آخر يغير المعنى، ويستوجب دلالة أخرى، ومن ذلك لفظ "يزلقونك" قُرئ بضم الياء وفتحها، وفيه قلبت اللام هاء من يزلقونك إلى يزهقونك بحيث تكشف المعنى جعل الدلالة تتغير بتغير الحرف، وهو ما يظهره تفسير الآية في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [القلم/51]، "إنْ مخففة من الثقيلة واللام عَلَمُها، وقُرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها، وزلقه وأزلقه بمعنى: ويقال زلق الرأس وأزلقه، حلقه، وقُرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وأزهقا يعني: أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزرا، بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك، من قولهم: نظر إلي نظرا يكاد يصرعني ويكاد يأكلني أي: لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله" [الكشاف، ج06، 1998، ص 193].ومن ذلك نستشف أن التغيير بالحركات في موضع النطق نحو أخفها قد يغير المعنى، وكذلك التغيير

في صورة الكلمة بإحلال حرف مكان حرف، كما سبق في إحلال الهاء مكان اللام في يزلقونك، والتباين الذي انجر عن ذلك حيث إن معنى زلق: حلق وأزال، أما زهق فهو أهلك، والزلق بالبصر قد يؤدي إلى الهلاك والمضرة أو الضرر، وهذا التغير هو نتيجة الجنوح إلى التسهيل، حيث النطق بالهاء أسهل وأخف، والنطق باللام بخروجها بسهولة مع الهواء، ووجه الدلالة فيه هو تخفيف وقع العين الزالقة لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، والذي عصمه اللّه منها.

ومن مظاهر التخفيف كذلك وأثر دلالته:

2. إسقاط الهمزة من الكلمة

الهمزة صوت له أهمية بالغة في الكلمة، وذلك لما لها من خصوصية في الصفة والمخرج، فأفردت له أبواب في كتب اللغة، واشتغل بها تفكير اللغويين القدماء وعلى رأسهم الخليل وتلميذه سيبويه، وكذلك ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب، حيث أعطى الفراهيدي لها وصفا "بالمهتوتة، المضغوطة، وأطلق عليها سيبويه قوله: بأنها نبرة في الصدر تخرج هذه النبرة باجتهاد" [عبد اللّه، 2004، ص 26]، والنبر يعني الضغط الشديد.

وأما ابن جني فقال: "اعلم أن الهمزة حرف مجهور وهو في الكلام ثلاثة أضرب: أصل، وبدل، وزائد، ومعنى قولنا: أصل أن يكون الحرف فاء الفعل، أو عينه، أو لامه، ومعنى قولنا: زائد أن يكون الحرف لا فاء الفعل، ولا عينه، ولا لامه، والبدل أن يقام حرف مقام حرف، إما للضرورة أو استحسان وضعه" [ابن جني، 2012، ص 69].

فمن الطبيعي أن يتعدَّدَ وصف الهمزة، نظرا لعناية علماء اللغة (قدماء ومحدثين) بدراستها، ولذلك وُصِفَت بالمهتوتة المضغوطة، وبالنَّبر والشِّدَّة أو الهمس أو الجهر، بحيث نجد بعض القبائل العربية تمجُّ ثقلها، وتجنح إلى تخفيفها "لأن العرب لم تسلب الهمزة حركتها إلا للتخفيف" [ابن جني، 2012، ص 82]، وموافقة لمبدأ السهولة واليسر تكون الهمزة مُخفَّفة حذفا، أي بإزالتها، ومُخفَّفة بيْنَ بيْن،

وذلك يعني إبقاءها أو مخففة بالقلب "وقد يحذِفُ القرآن حرفا من الفعل، ليدل على أنَّ الحدث الذي يدل عليه الفعل أقل، بينما يذكر هذا الحرف في نفس الفعل في موضع آخر، ليدل على أن الحدث أكثر وأنَّ زمنه أطول" [صلاح عبد الفتاح، 2000، ص 242]، فالإنقاص من الكلمة، فعلا كانت أم اسما هو إنقاص من الحدث، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ [المعارج/01]، "ضَمَّن سأل معنى دعا، فعُدِّي تَعْدِيتَهُ، كأنه قيل دعا داعٍ (بعذاب واقع) ... وقُرئ سال سائل، وهو على وجهين، إما أن يكون من السؤال، وهي لغة قريش، يقولون: سلت تسال، وهما يتسايلان، وأن يكون من السيلان، ويؤيده قراءة ابن عباس "سال سيل" والسيل مصدر في معنى السائل كالغور، في الغائر والمعنى: اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم وأهلكهم ... وعلى الثاني هو كلام مبتدأ جواب للسائل، أي هو للكافرين" [الكشاف، ج06، 1998، ص 205]. إن اختلاف القراءات في نطق الهمزة وإزالتها مما سهل النطق بسرعة موحيا بدلالة الاضطراب والعجلة المرجفة بما يترقب الكافرين من عذاب يوم القيام.

وقرأ عمر عبد الواحد قوله تعالى: ﴿أنَ أرضعيه﴾ من الآية: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنَ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص/07] وذلك على حذف الهمزة من "أرضعيه" للتخفيف.

وكذلك قوله تعالى: ﴿سل بني إسرائيل﴾ [البقرة/211] "إنما كان سأل فلما خففت طرحت حركتها على السين، وأسقطتها، فتزحلق السين فسقطت ألف الوصل" [المبرد، 2012، ص136]، ومَرَدُّ إسقاط الهمزة فيما سبق هو الحرف الساكن قبلها، ففي سل بني إسرائيل وأصلها اسأل، نُقلت حركة الهمزة إلى الحرف قبلها، فاتصل الساكن بالساكن فسقط الوصل، وبذلك تسقط الهمزة ويقل المعنى، ووجه الدلالة بإسقاطها (الهمزة) كأن احتمال السؤال لبني إسرائيل ضعيف وغير محتمل وقليل الورود لما فيه من تقريع.

وفي قوله تعالى: ﴿فلما قضينا عليه الموتَ ما دلَّهم على موته إلا دابَّةُ الأرضِ تأكل مِنْسَأَتَه فلما خرَّ تبيَّنت الجِنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المُهين﴾ [سبأ/14]، الشاهد في لفظ منسأتة التي كشفت للجن موت سيدنا سليمان عليه السلام، وأكل دابة الأرض المنسأة مؤشر لعدم علم الجن الغيب، والمعنى "المنسأة العصا، لأنه يُنْسَأ بها أي يُطرد بها ويؤخر، وقرئ بفتح الميم، وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا، وكلاهما ليس بقياس، وإنما إخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي، ومنساءته على مِفْعالة، كما يقال في الميضأة ميضاءة، ومن سأته أي من طرف عصاه، سميت بسأة القوس على سبيل الاستعارة" [الكشاف، ج05، 1998، ص 113]، ويمكن القول إن إسقاط الهمزة من اللفظ منساءته هو إسقاط نطقي يحتمل دلالة نقص العلم لدى المخلوقات من جن وإنس، إذ العلم من اختصاص الخالق سبحانه وتعالى، الذي أودع قوته في أضعف خلقه (دابة الأرض) حتى تكون دليلا ماديا وإشارة واضحة إلى عدم علم الجن بما يأمر اللّه عز وجل به، وكان السلب في اللفظ يكافئ سلب العلم من أذهان الجن، ويقع أيضا الاقتطاع من المعنى باقتطاع حرف من اللفظ، ومن ذلك:

2.2. إسقاط التاء من الكلمة

يسقط حرف التاء من الكلمة في مواضع معينة، وسيتم التركيز على تغييرها وتخفيفها في أول الكلمة في الآيات التالية من قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10)﴾ [عبس1 - 10]، والمعنى أن ابن أم مكتوم أتى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وعنده الصناديد عتبة وشيبة، وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وغيرهم من كبراء قريش يدعوهم للإسلام، فقال يا رسول اللّه أقرئني مما علمك اللّه، وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه، فنزلت السورة

فكان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا رآه يقول: مرحبا بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له هل لك حاجة؟ واستخلفه على المدينة مرتين، وروي أنه صلى اللّه عليه وسلم ما عبس بعدها في وجه فقير قط، ولا تصدَّى لغني" [الكشاف، ج06، ص 131 - 314].والأفعال المقصودة بالدراسة وردت بهذا الترتيب: يذكر، يذكر، تصدى، تلهى، فهي على شكلها معدولة من الأصل إلى الفرع، كما اقتضت لغة العرب ذلك طلبا للسهولة واليسر، والأصل فيها يتزكى يتذكر تتصدى، تتلهى ومعانيها على النحو التالي:

- يزكى: أي يتطهر بما يلقى من الشرائع. يذكر: يتعظ منتفعه ذكراك يا رسول اللّه، والمعنى أنك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك، أو تذكر، ولو دريت لما فرط ذلك منك، والضمير في لعله للكافر، يعني أنك طمعت في أن يزكى بالإسلام، ويتذكر فتقربه الذكرى إلى قبول الحق، وما يدريك ما طمعت فيه كائن.

- تصدى: تعرض بالإقبال عليه، والمصاداة المعارضة وقرئ بالتشديد وإدغام التاء في الصاد، وقرأ أبو جعفر بضم التاء، أي تعرض، ومعناه يدعوك داع إلى التصدي له.

- تلهى: تشاغل، من لها عنه والتهى، وتلهى، وقرأ طلحة بن معرف قوله: فأنت له تصدى (فأنت عنه تلهى)، كأن فيه اختصاصا قلت نعم، ومعناه إنكار التصدي، والتلهي عليه أي ممتلك لا ينبغي له أن يتصدى للغنى، ويتلهى عن الفقير" [الكشاف، ج06، 1998، ص 214]، واكتفت الأفعال المذكورة بتاء واحدة أي ياء واحدة مع فهم أصل الأفعال في سياقاتها، وعلى اعتبار قاعدة العرب التي تكون التقاء المثلين تقاربا أو تجاورا، فإن حذف التاء هنا جائز وتعرب كأن لم تكن، أو على الحال التي هي عليها.

إن التاء أو الياء "المضارعة" زيدت في تفعّل وتفاعل، فأصبحت تتفعّل وتتفاعل، كما في يتركز وتتلهى، فإن اجتماع ياءين أو تاءين في مواضع متقاربة يثقل على اللسان مثل قرب التاء من الزاي في يزكي، يتزكى أو مع الدال في يتذكر، وكذلك التاء والصاد والتاء واللام في يتصدى، ويتلهى كما في غيرها من الأفعال. وقد حدث

الإدغام في الأفعال المذكورة كوسيلة من وسائل الخفة، وذلك بإدغام التاء في الحرف الموالي لها، فقالوا: في الزاي يزكي، وفي الذال يذكر وفي الصاد تصدى، وفي اللام تلهى.

ومن وجوه الدلالة التي يحملها حذف التاء في قوله تعالى: تَلَهَّى العتاب اللطيف من المولى اللطيف للرسول الكريم لما كان من انشغاله عن الفقير، ودرجة التخفيف في الأداء الصوتي في تلك الأفعال يوازيه لطف في خفة العتاب. إن إسقاط الحرف من الكلمة بغرض الإيجاز أو التخفيف أو التسهيل أو إبقائه بغرض الشرح والتفصيل في القرآن لا يكون إلا للتوازن الدقيق في ألفاظه ومعانيه، وقد يكون لها من أوجه الدلالات ما يتطلب النظر في مثل: تستطيع بذكر التاء لقربها من الصاد أو حذفها في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف/97]، "قُرئ فما اسطاعوا بقلب السين صادا، وأما من قرأ بإدغام التاء في الطاد، فمُلاقٍ بين ساكنين على غير الحد "أن يظهروه" وأن يعلوه، أي لا حيلة لهم فيه من صعود، لارتفاعه وانملاسه، ولا نقب لصلابته وثخانته" [الكشاف، ج03، 1998، ص 616]، ففي الحالتين سواء حذفت التاء أم أدغمت وقع التخفيف، تيسيرا وتسهيلا للنطق، فإسقاط التاء للخفة وإبقاؤها للثقل يناسب عدد حروف الفعل في توجيه الدلالة، أي وجه الدلالة في حذفها يناسب ضعف يأجوج ومأجوج وعجزهم. رغم عددهم الهائل أمام صلابة السد، لخلوه من المقابض وأماكن الإمساك به، فلا يمكن تسلقه والصعود عليه، فهو تَحَدٍّ لهم، وذلك أمر من اللّه في صنعه من حديد ونحاس، والحرف يقابله السلب للقوة.

3.2. إسقاط النون من الكلمة:

إن كل زيادة في المباني يقابلها زيادة في المعاني والعكس، كما يقول ابن جني، ذلك ما يحدده السياق في التعبير القرآني ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر/54] عبارة "فبم تبشرون" "استفاهمية دخلها معنى التعجب كأنه قال: فبأي أعجوبة تبشروني، أو أراد أنكم تبشرونني، بما هو غير مقصود في العادة، فبأي شيء تبشرونني، يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء،

لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء" [الكشاف، ج03، 409]، والجواب ضمن الآية التي بعدها "أي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه وبشرناك بطريقة هي الحق، وهي قوله تعالى، ووعده أنه قادر على أن يوجد ولدا من غير أبوين، فكيف بشيخ فان وعجوز، وقرئ تبشرون بفتح النون وكسرها، على حذف نون الجمع، والأصل تبشرونن، بإدغام نون الجمع في نون العماد" [الكشاف، ج03، ص 400]، ومثله يقع في صيغ الأفعال الخمسة في حالة الرفع، وتأكيدها مثل: لنسألن، ولترون، والتي اجتمعت فيها ثلاث نونات، تحذف لتوالي الأمثال استثقالا.

فحذف النون من "تبشروننني" تناسب ضعف الشيخ وكبر سنه وعجزه، حتى إنه لم يقبل البشارة، واستبعد ما ألقي إليه من البشارة في العادة التي أجراها المولى عز وجل في الخلق.

كما تحذف نون الفعل الناقص "كان" في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم/20]، حذفت النون من "لم أك" تناسبا مع دلالة الموقف، وذلك أن السياق دعا إلى حذف النون من الفعل "لم أك" مراعاة للموقف الذي تكون فيه المرأة العفيفة وحدها، وما يتملكها من رعب واضطراب، بوجود غريب لم تعهد له صورة لديها من قبل وسرعة رغبتها في العودة إلى مأمنها جعل التعبير القرآني بأسلوبه المميز يسقط النون من الفعل (لم أك بغيا) الذي يوازيه حذف صفة البغي ونفيها مطلقا بأي حال من الأحوال عن السيدة مريم عليها السلام.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل/70] سقطت النون من الفعل كان في (لا تك) لتدل على مواساة الرسول صلى اللّه عليه وسلم و تصبيره والتخفيف عنه مما أصابه من حزن، فحذفت النون لتناسب إبعاد الضيق من صدره وتهوين الأمر عليه صلى اللّه عليه وسلم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ(43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44)﴾ [المدثر/43 - 44]، وهو جواب المجرمين عن السؤال ما سلككم في سَقَر "إلا

أنَّ الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما نهج التنزيل في غرابة نظمه... فإن قلت لِمَ يُسألون وهم عالمون بذلك، قلت توبيخا لهم وتحسيرا" [الكشاف، ج06، 1998، ص 262]، مع أن حرف النون يدل على الرقة والجمال والاستقرار بأن القيم التعبيرية للصوت تأخذ قيمتها من السياق، فيجعلها تحمل من الدلالات ما يعكس استقرارها إلى اضطراب وحالات نفسية مجسدة في المواقف التي عبرت عنه "لم نك" وهي مناسبة لانعدام صفتي القيام بالصلاة والتكرم بالطعام على المساكين.

4.2. الإسقاط في حرف النداء وترخيم الاسم المنادى:

يقع التخفيف بحذف حرف النداء أو بترخيم الاسم المنادى اختصارا، ومراعاة للمواقف والمقامات في القرآن الكريم، وتعبيره القويم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يوسفُ أعرضْ عن هذا﴾ [يوسف/28]، وقع حذف حرف النداء في الآية، لأن سيدنا يوسف عليه السلام متواجد قريب في موقع الحدث، فكان السياق القرآني معبرا عن الموقف بحذف حرف النداء، ليكون وجه الدلالة فيه ما يناسب مقامه عليه السلام، وذلك بتغييب حرف النداء مقابلا لاختصار المسافة، وعلو مقام وشأن يوسف عليه السلام عند ربه، فتقع مناداته مباشرة استقرابا واستلطافا، حتى يهون عليه ما حز في نفسه من اتهام، ثم كان توجيه الكلام بالزجر لامرأة العزيز (واستغفري لذنبك) بالالتفات في أرقى صور البلاغة من غير ملاطفة ولا استغراب.

وكذلك يقع التخفيف في ظاهرة الترخيم، وهو حذف حرف أو أكثر من آخر الاسم المنادى بغرض التسهيل النطقي، والترخيم اسم قديم روي "أنه قيل لابن عباس رضي اللّه عنه أن ابن مسعود رضي اللّه عنه قرأ قوله تعالى: ﴿وقال: يا مالِ لِيَقْضِ علينا ربُّك﴾ بحذف الكاف وكسر اللام، فقال ابن عباس "ما أشغل أهل النار عن الترخيم" [رسيلا، 2001، ص 323]. قرأ ابن مسعود رضي اللّه عنهما في قوله تعالى: ﴿ونادَوْا يا مالكُ ليقضِ علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾ [الزخرف/77]، يا مالِ بحذف الكاف كقول القائل من (المنسرح):

..... والحق يا مالِ غَيْرَ ما تَصِفُ

وعـن بعضهـم حُسْـنُ الترخيـم أنهـم يقتطعـون بعـض الاسـم لضعفهـم وعِظَـمِ مـا هـم فيـه" [الكشـاف، ج05، 1998، ص 456].

ووجـه الدلالـة أن شـدة هـول مـا هـم فيـه مـن عـذاب لم يقـووا عـلى تحملـه نتيجـة ضعفهـم وانشـغالهم بهـا هـو دافـع اقتطاعهـم وحذفهـم لحـرف الـكاف مـن مالـك فهـو بالـكاد ينطقـون.

الخاتمة

بعـد سـيرورة البحـث والوقـوف عـلى أهـم الظواهـر اللغويـة في مسـتوى مـا درسـنا نوجـز النتائـج فيـما يـلي:

1- ظاهــرة التخفيــف هــي ظاهــرة لغويــة لصيقــة باللغــة مجنــح لهــا كل الأمــم الناطقــة.

2- تغيـير الحـركات في اللغـة أو في القـرآن الكريـم يغـير المبـاني، ويقـع ذلـك التغيـير في المعـاني صوتيـا غرضـه التخفيـف النطقـي لتأديـة الدلالـة.

3- ظاهرة تغيير الحركات يتماشى مع دلالة الصيغ الصرفية للأوزان فعل وفعل.

4- إسقاط الهمزة لاعتبار صرفي تكشف عن دلالة خفية.

5- اختلاف القراءات سبيل لتسهيل النطق وتيسير للقراءة.

6- الحذف الخاص بالمشتقات يعد قصرا على حرف العلة (الألف والواو والياء).

7- إبدال حرف بآخر في نفس اللفظ والموضع يؤدي إلى تغير الدلالة.

8- إسـقاط التـاء مـن أول الفعـل للتجـاوز أو إدغامهـا لقربهـا مـن الحـرف المـوالي لهـا، يـؤدي بعـدا دلاليـا.

9- التخفيـف بحـذف حـرف النـداء والتخفيـف بالترخيـم يحـدد نسـبية الدلالـة بقـرب أو بعـد المسـافة بـين المرسـل والمتلقـي.

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية:

القرآن الكريم

- ابـن أبي طالـب، مـكي. (2005). الرعايـة لتجويـد القـراءة وتحقيـق لفـظ التـلاوة. مؤسسـة قرطبـة.
- ابـن جنـي، أبـو الفتـح عثـمان (د. ت) الخصائـص. (ج2). النجـار، محمـد علي(محقـق). القاهـرة: دار الكتـب المصريـة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (2012). سر صناعة الإعراب. الجزائر: موفم للنشر.
- الحريـري، أبـو القاسـم بـن عـلي محمـد، (2005)، شرح ملحـة الإعـراب. هبـود، يوسـف بـركات (محقـق). بـيروت: المكتبـة العصريـة.
- رسـيلا، عبـد القـادر. (2001). الظواهـر اللغويـة في كتـاب المحـرر الوجيـز في الكتـاب العزيـز. رسـالة ماجسـتير، الريـاض.
- الزركـشي، بـدر الديـن (د. ت). البرهـان في علـوم القـرآن. الدمياطـي، أبي الفضـل (محقـق). القاهـرة: دار الحديـث.
- الزمخـشري، جـار اللّـه. (1998). الكشـاف. الشـيخ عـادل أحمـد عبـد الموجـود والشـيخ عـلي محمـد معوض)محققـون). (ج5). الريـاض: مكتبـة العبيـكان.
- سـالم، مكـرم عبـد العـال. (1988). قضايـا قرآنيـة في ضـوء الدراسـات اللغويـة. بـيروت: الشركـة المتحـدة للتوزيـع.
- السـامرائي، فاصـل صالـح (د.ت). بلاغـة الكلمـة في التعبـير القـرآني. القاهـرة: شركـة العاتـك لصناعـة الكتـاب.
- السيوطي، جلال الدين. (د. ت). الإتقان في علوم القرآن. دار المعرفة: بيروت.
- ابـن عبـد اللّـه، محمـد. (2004). ظاهـرة التخفيـف في اللغـة العربيـة. اليمـن: تريـم للدراسـات والنـشر.
- ابـن عطيـة وآخـرون. (د.ت). المعجـم الوسـيط. (ط2). بـيروت: دار إحيـاء الـتراث

العـربي.
- عفيفي، أحمد. (1996). ظاهرة التخفيف. الدار المصرية اللبنانية للنشر
- ابن منظور، محمد بن مكرم (د.ت). لسان العرب. (مج9). دار صادر.
- القاسم، محمد جمال الدين. (1957). محاسن التأويل. دار إحياء الكتب العربية.
- المـبرد، أبـو العبـاس. (2012). المقتضـب. أحمـد السـيد سـيد أحمـد عـلى (محقـق) (ج1). القاهـرة: دار التوفيقيـة للـتراث والتوزيـع والنـشر.
- ميرلوحـي فلاورجـاني سـيد عـلي. (2001). أثـر الحركـة في تعديـة الفعـل الـلازم. مجلـة مجمـع اللغـة العربيـة، 76(04)، دمشـق.
- ناصر، أحمد ناصر أحمد. (2010). النحو الميسر. مصر: ألفا للنشر والتوزيع.